مقاصد السور القرآنية
عند الفيروزآبادي
من خلال كتابه بصائر ذوي التمييز
(عرضٌ ونقد)

إعداد

د. سامي بن مسعود الجعيد

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك بقسم الكتاب والسنَّة

بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى

ملخص البحث

وقد جاء هذا البحث ليعالج مشكلتين اثنتين:

الأولى: تتعلق بمفهوم مقاصد السور القرآنية عند الفيروزآبادي، والثانية تتعلق بمنهجه وعرضه لتلك المقاصد.

هذا، وقد قسم الباحث بحثه إلى: تمهيد، تعرّض فيه للتعريف بالفيروزآبادي وبكتابه البصائر، ثم شرع في المبحث الأول وناقش فيه مفهوم مقاصد السور القرآنية عند الفيروزآبادي، ومنه ازدلف إلى المبحث الثاني الذي بسط فيه القول عن طريقة عرض الفيروزآبادي لمقاصد السور ومنهجه في ذلك، وذيل ذينك المبحثين بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات.

ومن تلكم النتائج:

١- ثمة فرق بين ما دونه الفيروزآبادي في مقاصد السور وما عناه المتأخرون بذلك، إذ كان قصد الفيروزآبادي مما عرضه هو موضوعات السورة وأغراضها.

٢- راعى الفيروزآبادي في بنائه لمقاصد السور أسباب النزول، وأحاديث الرسول، والقراءات القرآنية، وأقوال المفسرين حتى ولو كانت غريبة، معتمداً في ذلك على استنباطه.

وأوصى الباحث بما يلي:

١- عقد مقارنة بين ما ذكره الفيروزآبادي في مقاصد السور وما ذكره من جاء بعده كالبقاعي وابن عاشور.

٢- إبراز أثر ضبط مقاصد السور في بيان الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وتفسيرها تفسيراً إجمالياً وكذلك تفسيرها تفسيراً موضوعياً.

Research Summary

Research title: The purposes of the Qur'anic surahs according to Al-Fayrouzabadi through his book Basa'ir Dhu'l-Tamim, presentation and criticism.

This research came to address two problems:

The first: relates to the concept of the objectives of the Qur'anic surahs according to Al-Fayrouzabadi, and the second relates to his approach and presentation of those objectives.

The researcher divided his research into: an introduction, in which he presented an introduction to Al-Fayrouzabadi and his book Al-Basir. Then he proceeded to the first section and discussed the concept of the purposes of the Qur'anic surahs according to Al-Fayrouzabadi, and from there he proceeded to the second section in which he expanded the statement on the way Al-Fayrouzabadi presented the purposes of the surahs and his approach to it. These two studies were concluded with a conclusion that included the most important results and recommendations.

Among these results:

1- There is a difference between what Al-Fayrouzabadi wrote about the purposes of the surah and what the later scholars meant by that, as Al-Fayrouzabadi's intention in what he presented was the topics and purposes of the surah.

2-In his construction of the purposes of the surah, Al-Fayrouzabadi took into account the reasons for the revelation, the hadiths of the Messenger, the Qur'anic readings, and the sayings of the commentators, even if they were strange, relying in this on his own deduction.

The researcher recommended the following:

1- Draw a comparison between what Al-Fayrouzabadi mentioned about the objectives of the Surah and what was mentioned by those who came after him, such as Al-Buqa'i and Ibn Ashour.

2- Highlighting the effect of defining the purposes of the surahs in clarifying the objective unity of the Qur'anic surahs, and interpreting them in a comprehensive manner, as well as interpreting them objectively.

المقدمة

الحمدالله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وعد من تمسك بكتابه بأنه لا يضل ولا يشقى، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدالله ورسوله المصطفى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أولي النهى، والتابعين ومن تبعهم بإحسان واهتدى بهديهم إلى يوم الدين. أما بعد:

فإن من فضل الله على أهل القرآن أن خصهم بهذه النعمة، واصطفاهم دون غيرهم للاشتغال به قراءة وتفسيراً وتدبراً وتعليما.

وكان من بين أولئك المشتغلين بهذا الكتاب العزيز مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ)، والذي ظهرت آثار اشتغاله وتجلت في الكشف عن مقاصد السور، وذلك من خلال عرضه لها في كتابه بصائر ذوي التمييز.

ولما كان الأمر كذلك أحببت أن أبرز هذا الجانب، وأن أتناوله بالدراسة والمناقشة والنقد على أن ذلك لا ينقص من قدر الفيروزآبادي وعمله شيئاً، فالماء إذا بلغ القلتين لم يحمل الخبث، فكيف والفيروزآبادي وكتابه بحر لا تكدره الدلاء.

هذا وقد أسميت البحث بـ (مقاصد السور القرآنية عند الفيروزآبادي من خلال كتابه بصائر ذوي التمييز عرض ونقد).

والله أسأل التوفيق والإعانة.

أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع فيما يلي:

١- لما كان المقصد الأعظم من نزول القرآن تدبر آياته، كان من أعظم وسائله معرفة مقاصد السور، إذ هي الإقليد له، ولا تدبر لمن لم يلتفت إلى المقاصد[1].

٢- إن معرفة مقاصد السور طريق إلى فهم سياق المعنى الإجمالي، ومنه إلى التفسير الموضوعي، وإذا بني ذلك على غير أساس، كانت النتيجة خداجاً لا تنقي.

(١) انظر: الموافقات للشاطبي (٣٨٣/٣)، دلائل النظام للفراهي (ص٩).

٣- يظهر من معرفة مقاصد السور إعجاز القرآن في نظمه ورصفه وتراكيبه، إذ السورة القرآنية كالقطعة الواحدة يأخذ آخرها بأولها، وأولها بآخرها، فالعناية بذلك غاية في بابه.

تساؤلات البحث:

تبرز تلك التساؤلات في سؤالين اثنين:

الأول: ما مراد الفيروزآبادي -رحمه الله- بمقاصد السور القرآنية التي أوردها في كتابه بصائر ذوي التمييز.

الثاني: هل استوفى الفيروزآبادي ذلك؟ وكيف عرض تلك المقاصد وعبر عنها؟

الدراسات السابقة:

لم أقف -حسب علمي- على دراسة تجيب عن تساؤلات البحث وتكشف عنها، سوى بحث منشور في مجلة كلية دار العلوم في جامعة القاهرة[1]، بعنوان (مقاصد القرآن في تفسير بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي -سورة المائدة دراسة تطبيقية-). والبحث نظر فيه صاحبه من جهة مقاصد القرآن لا مقاصد السور، واقتصر فيه على نماذج من سورة المائدة تتعلق بالمقاصد العقائدية، والتشريعية، والأخلاقية.

وهو كما ترى -أيها القارئ الكريم- يتعلق بمقاصد القرآن لا بمقاصد السور التي هي محور هذا البحث، فالاتجاهان متباعدان، إضافة إلى اقتصاره على نماذج في سورة معينة. وأحسب أن بحثي -بعون الله- سيضيف إضافة علمية تكشف عن الموضوع وتزيده جلاء.

خطة البحث:

اشتملت خطة البحث على مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، وبيانها كالآتي:

المقدمة، وتشمل على أهمية الموضوع وتساؤلات البحث والدراسات السابقة وخطة البحث ومنهج البحث وخطواته.

التمهيد ويشتمل على مطلبين:

الأول: ترجمة موجزة للفيروز آبادي.

الثاني: التعريف بكتاب بصائر ذوي التمييز.

- المبحث الأول: مفهوم مقاصد السور عند الفيروزآبادي.

- المبحث الثاني: منهجه وطريقته في عرض مقاصد السور.
- الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

منهج البحث:

اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي والنقدي، واتبعت فيه الخطوات الآتية:

١- قمت باستقراء الكتاب وتحليل مادته العلمية، معتمداً فيه على طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في مصر.

٢- اعتمدت في ذكر الآيات على رواية حفص عن عاصم الكوفي، ورسمت ذلك بالرسم العثماني، وما كان مغايراً لتلك الرواية عزوته إلى من قرأ به، ورسمت تلك القراءة بالرسم المناسب لها.

٣- خرجت الأحاديث من مظانها الأصلية، فما كان منها في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بالعزو إليه، وما كان في غيرهما خرجته من مظانه معزواً ونقلت كلام العلماء في الحكم عليه إن ترتب على ذلك أثر في العمل.

٤- نقلت النصوص العلمية من مصادرها الأصلية، وجعلتها بين علامتي تنصيص ووثقتها بعزوها إلى مصدرها بالجزء والصفحة.

هذا، وإن ما أوردته في البحث هو جهد المقل، وبضاعة مزجاة، أرجو به الإفادة والنصح لكتاب الله، فما كان فيه من صواب فهو محض فضل من الله الكريم المنان، وما كان فيه من خطأ فمن نفسي والشيطان، وأستغفر الله وأتوب إليه، ورحم الله عبداً رأى فيه اعوجاجاً فأقامه، وخللاً فسده، وخطأ فصوبه، وإن بعث به إلي يشكر الله له صنيعه ويجزيه خيراً.

التمهيد

وفيه مطلبان:

- الأول: ترجمة موجزة للفيروزآبادي.
- الثاني: التعريف بكتاب بصائر ذوي التمييز.

المطلب الأول: ترجمة موجزة للفيروزآبادي[١].

هو أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيرازي الفيروزآبادي[٢]، اللغوي الشافعي، ولد بكارزين[٣] سنة تسع وعشرين وسبعمائة من الهجرة.

نشأ نشأة صالحة فاعتنى به والده منذ صغره، فحفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وقرأ اللغة والأدب وسمع صحيح البخاري وجامع الترمذي في شيراز، ثم رحل إلى واسط وقرأ بها القراءات العشر ثم ارتحل إلى دمشق وسمع بها من التقي السبكي وابن القيم وجماعة، ثم دخل القدس فسمع بها من العلائي وأخذ عنه الصلاح الصفدي، ثم دخل القاهرة وبقي بها البهاء بن عقيل، والجمال الإسنوي وابن هشام، ثم رحل إلى الهند، وألقى عصا التسيار في اليمن وفي زبيد تحديداً، فلقي بها الملك الأشرف فاحتفى به وبالغ في إكرامه، وولّاه قضاء اليمن، وبقي الفيروزآبادي بها حتى وافته المنية ليلة الثلاثاء العشرين من شوال سنة سبع عشرة وثمانمائة.

وقد خلّف الفيروزآبادي إرثاً عظيماً من المؤلفات في اللغة والحديث والفقه والتاريخ والتراجم والتفسير والذي يهمنا في هذا المقام، مما كتب في التفسير:

---

(١) انظر ترجمته في: طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٦٣/٤)، إنباء الغمر لابن حجر (٤٧/٣)، الضوء اللامع للسخاوي (٧٩/١٠)، البحر الطالع للشوكاني (٢٨٠/٢).

(٢) قال ابن حجر في إنباء الغمر (٤٧/٣): «كان يرفع نسبه إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي -صاحب التنبيه-...ولم أزل أسمع مشايخنا يطعنون في ذلك على أن أبا إسحاق لم يعقب، ثم ارتقى الشيخ مجد الدين درجة، فادعى بعد أن ولي قضاء اليمن بمدة طويلة أنه من ذرية أبي بكر الصديق، وزاد إلى أن رأيت بخطه لبعض نوابه في بعض كتبه محمد الصديقي، ولم يكن مرفوعاً عن معرفة إلا أن النفس تأبى قبول ذلك». وأما لقبه الفيروزآبادي نسبة إلى فيروز آباد وهي مدينة (جور) في جنوبي شيراز، شمالي كارزين، ولعله أفاد هذا اللقب من انتسابه إلى أبي إسحاق الشيرازي.

(٣) وهي بلدة تقع الآن في إيران، وقد أشار الفيروزآبادي إلى ولادته بها في القاموس المحيط عند مادة (كرز). انظر القاموس المحيط (ص: ٥٢٢).

١- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، وهو تفسير من طريق محمد بن مروان السدي الصغير عن محمد بن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس.

قال السيوطي في الاتقان: «وأوهى طرقه -يعني طرق التفسير عن ابن عباس- طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدي الصغير فهي سلسلة الكذب»[١].

وقد نَسب جمع هذا التفسير إلى الفيروزآبادي جماعة من أهل العلم، منهم السخاوي[٢]، والداودي[٣]، وابن العماد الحنبلي[٤]، والشوكاني[٥]، وغيرهم، وهو كتاب مطبوع ومتداول.

وقد لاحظت تأثر الفيروزآبادي في ذكر بعض مقاصد السور بما جاء في هذا الكتاب، وسأشير إلى ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى.

٢- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، وهو الكتاب محل الدراسة وسنفرد الحديث عنه في المطلب الآتي -إن شاء الله-.

٣- تيسير فاتحة الإياب في تفسير فاتحة الكتاب، ويقع في مجلد كبير، وقد نسبه إليه الفاسي في العقد الثمين[٦]، والسخاوي في الضوء اللامع[٧] والداودي في الطبقات[٨]، وذكر محقق كتاب البلغة للفيروزآبادي أنه لا يزال مخطوطاً، منه نسخة في القاهرة، وأخرى في مكتبة الأحقاف بتريم، وعنوانها (فاتحة الكتاب)[٩].

٤- الدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن الكريم، وقد نسبه إليه الفاسي، والسخاوي، والداودي، والشوكاني، وغيرهم[١٠]، وهو كتاب مفقود إلى الآن.

---

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢٣٣٦/٦)، وانظر: التفسير والمفسرون للذهبي (٥٥/١).

(٢) انظر: الضوء اللامع (٨١/١).

(٣) انظر: طبقات المفسرين: (٢٧٧/٢).

(٤) انظر: شذرات الذهب (١٨٧/٩)

(٥) انظر: البدر الطالع (٢٨١/٢) هذا وقد شكك بعض مشايخنا كالشيخ عبدالله الأمين الشنقيطي في صحة جمع الكتاب للفيروزآبادي، وأخبرني أنه لعبدالله بن المبارك الدينوري (ت: ٣٠٨)، وأنه لديه نسخة من المخطوط تثبت ذلك. والله أعلم.

(٦) انظر: العقد الثمين (٤٢٨/٢).

(٧) الضوء اللامع (٨١/١٠).

(٨) انظر: مقدمة كتاب البلغة (ص: ٣٣)

(٩) طبقات المفسرين (٢٧٦/٢).

(١٠) انظر: العقد الثمين للفاسي (٤٢٨/٢)، الضوء اللامع للسخاوي (٨١/١٠)، طبقات المفسرين للداودي (٢٧٧/٢)، البدر الطالع للشوكاني (٢٨٢/٢).

٥- حاصل كورة الخلاص في فضائل سورة الإخلاص، وقد نسبه إليه الفاسي، والسخاوي، والداودي، والشوكاني، وغيرهم[١]، وهو كتاب مفقود إلى الآن.

٦- قطبة الخشاف لحل خطبة الكشاف للزمخشري، ذكره السيوطي وابن العماد، والشوكاني[٢]، وذكر صاحب كشف الظنون أن الفيروزآبادي شرح خطبة الكشاف شرحاً سماه: قطبة الخشاف لحل خطبة الكشاف، فأصاب هذا الشرح تلف فكتبه ثانية وسماه (نغبة الرشاف في خطبة الكشاف)[٣].

قلت: أظن أنهما كتاب واحد، وهو مخطوط في وريقات يسيرة، موجود في مكتبة عارف حكمت بالمدينة النبوية، ومكتوب عليه (قطبة الخشاف لحل خطبة الكشاف) المسماة (بغية الرشاف لحل خطبة الكشاف).

هذا، وقد بدا لي من خلال دراسة مقاصد السور عند الفيروزآبادي عظيم إفادته من كشاف الزمخشري، وسأشير إليه في موضعه إن شاء الله تعالى.

تلكم هي أبرز ما سطرته يدا مجد الدين الفيروزآبادي - رحمه الله- في التفسير وعلومه. فجزاه الله خيراً عما كتب وأفاد.

المطلب الثاني: التعريف بكتاب بصائر ذوي التمييز.

يعد هذا المؤلف من المؤلفات القيمة، والتي تدل على عظيم إمامة مؤلفه حيث وصفه مؤلفه بقوله: «فهذا كتاب جليل، ومصنف حفيل»[٤]. ويمكن الكشف عن قيمة هذا السفر من خلال النقاط الآتية:

أولاً: فكرة تأليف الكتاب.

أشار الفيروزآبادي -رحمه الله- في مقدمة كتابه إلى فكرة الكتاب وسبب تأليفه، وذلك أن الأمير الأشرف أبا العباس إسماعيل بن العباس أمره أن يكتب كتاباً يجمع به أشتات العلوم، وضم أنواعها على تباين أوصافها في كتاب مفرد؛ وذلك تسهيلاً لمن أراد الوصول إليها والانتفاع بها، إضافة إلى الاستغناء بالكتاب عن حمل الأسفار في الأسفار[٥].

(١) انظر: المصادر السابقة. وذكر الفاسي في الدر الثمين أن اسم الكتاب (كورة الخلاص في تفسير سورة الإخلاص).
(٢) انظر: شذرات الذهب (١٨٧/٩)، البدر الطالع (٢٨٢/٢)، بغية الوعاة للسيوطي (٢٧٤/١).
(٣) انظر: كشف الظنون (١٤٨/١)، وأظن كلمة (نغبة) تصحيف وهي (بغية).
(٤) البصائر (٣٤/١).
(٥) انظر: المصدر السابق (٣٤/١-٣٥).

فلم يجد الفيروزآبادي -رحمه الله- مما طلب منه بدا، وقد شرع في تأليفه مستعيناً بالله، ورتبه على مقدمة وستين مقصدا.

أما المقدمة فكانت «في تشويق العالم إلى استزادة العلم الذي طلبه فرض، وتمييز العلوم بعضها وبعض»[١].

أما الستون مقصدًا فقد عددها الفيروزآبادي مُصدِراً إياها بالمقصد الأول الذي تناول الحديث فيه عن لطائف تفسير القرآن العظيم -وهو محل دراستنا- بَيْدَ أنه توقف عن تسمية المقصد السادس والخمسين وما بعدها فلم يسم تلك المقاصد[٢].

وعليه، فإن الشيخ -رحمه الله- لم يتم الكتاب، وإنما أتم الحديث عن المقصد الأول والمتعلق بلطائف الكتاب العظيم، ولعل من أسباب عدم إتمامه وفاة الأمير الأشرف إسماعيل صاحب فكرة هذا الكتاب[٣].

وعلى أية حال، فالفيروزآبادي -رحمه الله- لما فرغ من المقصد الأول لم يضع اسماً له، وإنما أُخِذَ ذلك من صنيع صاحبه فيه، فالمؤلف -رحمه الله- لما ذكر المقدمة التي أشرنا إليها آنفاً، أتبعها بعدة أبواب، وكان يصدر ما يذكره من فوائد تحت عنوان بصيرة. وسيأتي.

ثانياً: محتويات الكتاب:

قدم المصنف-رحمه الله- لكتابه بمقدمة تحدث فيها عن شروط التعلم والتعليم، وعن القول في حصر العلوم، ثم قسم كتابه إلى أبواب:

فبابه الأول، تكلم فيه عن فضائل القرآن ومناقبه، وإعجازه، وفي شرح كلمات لابد من معرفتها قبل الخوض في التفسير، ثم تكلم عن أسماء القرآن، وترتيب سوره، وبعض المسائل المتعلقة بنزول القرآن، وتطرق بعد ذلك إلى الحديث عن أصناف الخطابات والجوابات التي يشتمل عليها القرآن، وأردف ذلك بالحديث عن الناسخ والمنسوخ.

ثم شرع في الحديث عن السور مفتتحاً بسورة الحمد إلى نهاية سورة الناس، وكان يذكر في كل سورة عدة أشياء سنشير إليها لاحقاً إن شاء الله. ثم ذيل هذا الباب بذكر عدد سور القرآن، وعدد آيه، وكلماته،

(١) المصدر السابق (٣٥/١).

(٢) حسب ما ذكره محقق الكتاب. انظر: البصائر (٤٠/١).

(٣) مقدمة تحقيق كتاب البصائر (٢٧/١).

وحروفه، ونقط كل حرف[1].

أما بقية الأبواب وهي من الباب الثاني إلى الباب التاسع والعشرين فقد جعلها فيما يسمى بالوجوه والنظائر، ورتبها على حروف التهجي، وغالب أمره في ذلك أن يبدأ ببيان المعنى اللغوي للمفردة، ثم يتبع ذلك بذكر معانيها في القرآن الكريم.

ثم ختم المصنف-رحمه الله- الكتاب بالباب الثلاثين، والذي تكلم فيه عن أسماء الأنبياء عليهم السلام.

(١) وهذا الباب كله استغرق المجلد الأول من الكتاب المطبوع.

المبحث الأول

مفهوم مقاصد السور عند الفيروزآبادي

يبدو أن مجد الدين الفيروزآبادي -رحمه الله- ذو عناية بمقاصد القرآن عموماً ومقاصد السور خصوصاً، ولا أدل على ذلك من كتابه الموسوم بالدر النظيم المرشد إلى مقاصد القرآن العظيم، وقد أشرت إلى هذا الكتاب آنفاً[١].

وأما عنايته بمقاصد السور فظاهرة من خلال كتابه بصائر ذوي التمييز، وكان -رحمه الله- قد نص في مقدمة كتابه على هذا الأمر حيث يقول: «وأذكر في كل سورة على حدة سبعة أشياء... وما كان للسورة من اسم أو اسمين فصاعداً، واشتقاقه، ومقصود السورة وما هي متضمنة له...».

وقبل سبر أغوار مقاصد الفيروزآبادي للوقوف على مفهومه للمقاصد يحسن بنا أن نشير إلى معنى المقاصد في اللغة؛ إذ هو الدهليز إلى تحرير مفهوم المقاصد.

فالمقاصد في اللغة: جمع مقصد، وأصل مادة (ق ص د) يعود إلى الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء، فالقصد إتيان الشيء وأَمّه، تقول: قصدته، وقصدت، وقصدت إليه، بمعنى: يقصده، وإليه قصدي، ومقصدي، ومقصد الكلام مدلوله ومضمونه[٢].

إذا تقرر هذا، فالمتتبع لهذا المصطلح في كلام المتقدمين يجد أن أغلب استعمالهم له كان استعمالاً جزئياً مرتبطاً بمعنى الآية والمراد منه، فإذا عبر أحدهم بقوله (ومقصود الآية) أو (المقصود في الآية) ونحو ذلك فهو منصب على تفسير الآية وبيان المراد منها[٣].

وهذا لا يعني أن مفهوم المقاصد الذي نحن بصدد الحديث عنه لم يكن معروفاً عندهم، بل كان أمراً ظاهراً وجلياً لديهم، كما نص على ذلك البقاعي في مصاعد النظر[٤].

ومن أوائل العلماء الذين نصوا على مصطلح (مقاصد السور) الإمام أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي

(١) انظر: (ص:) من هذا البحث.

(٢) انظر: تهذيب اللغة للأزهري (٢٩٧١/٣)، مقاييس اللغة لابن فارس (٩٥/٥)، لسان العرب لابن منظور (١١٣/١٢).

(٣) انظر: تحرير العلاقة بين مقاصد القرآن وتفسيره للدكتورة سهاد قنبر (ص: ٣٢١).

(٤) انظر: مصاعد النظر (١٥٣/١)، وللاستزادة انظر: علم مقاصد السور للمطيري (ص: ٢٨).

(ت:٧٠٨هـ)[١] ففي ثنايا حديثه عن توجيه المتشابه اللفظي في سورة القمر يقول: «سورة القمر بأسرها مقصودها تذكير كفار العرب من قريش وغيرهم بما نزل ممن تقدمهم من مكذبي الأمم»[٢].

وإذا كان الأمر كذلك، فإن مصطلح مقاصد السور عند أبي جعفر ابن الزبير (ت:٧٠٨هـ) يدور حول المعنى الجامع لمضمون السورة وموضوعاتها[٣]، إذ «كل سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليها فيها»[٤].

هذا وقد بلغ هذا العلم بهذا المصطلح المذكور ذروته عند الإمام البقاعي، فوضع أسسه، وأقام سوقه، وأظهره وأبرزه، وذكر أن غايته معرفة الحق من تفسير كل آية، ومنفعته التبحر في علم التفسير إذ هو مقدمة للتفسير فلا بد من الاشتغال به قبل الشروع إلى التفسير[٥]. ثم تتابع الناس بعده على ما قرره، وخصوصاً المتأخرون، وأفادوا منه كثيراً، وإن اختلفت تسميات هذا العلم عندهم كقول بعضهم: محور السورة[٦]، ونظام السورة[٧]، ونحو ذلك فالغاية واحدة، والهدف بيِّن. وإذا تقرر هذا، فالمتتبع لكلام الفيروزآبادي المتعلق بمقاصد السور في كتابه البصائر يجد أنه قد عبر عنه بعدة عبارات مختلفة، وجمع تلك العبارات يكشف عن المصطلح الذي يقصده الشيخ -رحمه الله-. فمرة يعبر بقوله (معظم مقصود السورة) وهذا هو اللفظ الغالب على تعبيراته[٨]، وأخرى يعبر بقوله (مقصود السورة)[٩]، ويقرنه أحيانا بقوله على سبيل الإجمال[١٠]، أو على طريق الإجمال[١١]، أو مجملاً[١٢]، أو إجمالاً[١٣]، أو المقصود الإجمالي من السورة[١٤]، أو

(١) علم مقاصد السور للربيعة (٣٠-٣١).
(٢) انظر: علم ملاك التأويل (٤٦٠/٢).
(٣) علم مقاصد السور للربيعة (ص: ٧).
(٤) مصاعد النظر (١٤٩/١).
(٥) انظر: المصدر السابق (١٥٥/١).
(٦) انظر: التحرير والتنوير (٦/١٨).
(٧) انظر: دلائل النظام للفراهي (٧٤٢٥)
(٨) جاء ذلك في سبعين سورة من القرآن الكريم، وفي سورة الأحزاب عبر بقوله (معظم مقصود السورة الذي اشتملت عليه).
(٩) جاء ذلك في تسع عشرة سورة من القرآن الكريم، وفي سورة الفاتحة بقوله (المقصود من نزول السورة).
(١٠) جاء ذلك في سورتي الأنعام والأعراف.
(١١) جاء ذلك في سورة الحج فقط، وفي سورة البقرة بقوله (وعلى الإجمال مقصود هذه السورة).
(١٢) جاء ذلك في سورة الأنفال فقط، وفي سورة الأنبياء (ما اشتملت عليه مجملاً) وفي سورة الشعراء (وجل ما اشتملت عليه) وفي سورة النمل (ومعظم ما تضمنته).
(١٣) جاء ذلك في أربع سور: التوبة، يوسف، الحجر، الكهف.
(١٤) جاء ذلك في سورة هود عليه السلام فقط.

مقصود السورة ومعظم ما اشتملت عليه[١]، أو مقصود السورة ومعظم المراد منه على سبيل الإجمال[٢].

ومن عباراته كذلك (مضمون السورة)[٣]، وكذلك قوله (وجملة مقاصد السورة المشتملة عليها)[٤]، إضافة إلى قوله (وما اشتملت عليه مجملاً)[٥]، وقوله (معظم ما اشتملت عليه السورة)[٦].

وبعد التأمل فيما أورده الفيروزآبادي من مقاصد وعبر عنها بتعبيرات متغايرة، يظهر للباحث أن الشيخ لا يقصد ما قررته آنفاً في تحرير مصطلح مقاصد السورة، والذي «إليه مجرى الكلام، وهو المحصول والمقصود»[٧]، وإنما كان يقصد -رحمه الله- بمقاصد السور موضوعاتها، وهي القضايا التي تحدثت عنها السور القرآنية ، فمثلاً عند حديثه عن مقاصد سورة البقرة، قال: «وعلى الإجمال مقصود هذه السورة»، ثم ساق تسعة وأربعين مقصداً، وختمها بقوله: «هذا معظم مقاصد هذه السورة الكريمة»[٨]، وهذا في أطول سورة في القرآن بينما قال عند سورة الكوثر وهي أقصر سورة في القرآن: «معظم مقصود السورة» وذكر ثلاثة مقاصد بعدد آي السورة، كل مقصد منها مناسب لكل آية[٩].

وصنيعه هذا قد تعارف العلماء عليه بتسميته بـ (أغراض السورة)[١٠] أو (محتويات السورة)[١١]، أو (أهداف السورة)، أو (ملامح السورة) أو (أفكار السورة)، ونحو ذلك مما يشير إلى موضوعات السورة[١٢].

وعليه، فتصنيف بعض المتأخرين لعمل الفيروزآبادي بأنه أنموذج فريد في باب مقاصد السور القرآنية بالمصطلح المتعارف عليه عند المتأخرين خطأ بيِّن، إذ ثمة فرق بين المقصد و الموضوع؛ إذ الأخير سبيل إلى تحصيل الأول[١٣] كما سنشير إليه لاحقاً بعون الله.

---

(١) جاء ذلك في خمس سور: الاسراء، طه، المؤمنون، النور، الفرقان.
(٢) جاء مرة واحدة في سورة مريم عليها السلام.
(٣) جاء مرة واحدة في سورة الأعراف.
(٤) جاء مرة واحدة في سورة المائدة.
(٥) جاء مرة واحدة في سورة النساء.
(٦) جاء مرة واحدة في سورة النحل.
(٧) دلائل النظام للفراهي (ص: ١٦).
(٨) البصائر (١/١٣٤-١٣٥).
(٩) المصدر السابق (١/٥٤٧).
(١٠) انظر: التحرير والتنوير (١/٨).
(١١) المصدر السابق (١/٢٠٣).
(١٢) انظر: علم مقاصد السور (ص:٨).
(١٣) انظر: مقاصد السورة القرآنية للعجمي (ص: ٥٩٧).

المبحث الثاني

منهجه وطريقته في عرض مقاصد السور

لما قصد الفيروزآبادي تأليف كتاب يجمع شتات العلوم ويضم أنواعها على تباين أصنافها وذكر أنه رتبه على مقدمة وستين مقصداً[١]، وكان هذا الكتاب الذي بين أيدينا يشمل المقصد الأول منه، وهو في لطائف تفسير القرآن العظيم، رتبه على أغرب أسلوب وقدم أمامه مقدمات ومواقف[٢].

والذي يهمنا في هذا المبحث هو طريقته في إيراد المقاصد بين جملة المسائل التي يذكرها في كل سورة، وقد نص -رحمه الله- على ذلك بقوله: «وأذكر في كل سورة على حدة سبعة أشياء[٣]: موضع النزول، وعدد الآيات والحروف والكلمات، وأذكر الآيات التي اختلف فيها القراء، ومجموع فواصل آيات السورة، وما كان للسورة من اسمٍ أو اسمين فصاعداً واشتقاقه، ومقصود السورة وما هي متضمنة له وآيات الناسخ والمنسوخ منها، والمتشابه منها، وبيان فضل السورة مما ورد فيها من الأحاديث»[٤].

وترتيب الشيخ لهذه المسائل منطقي، إذ يقدم بين يدي السورة علومها مما يتعلق بنوع السورة وعدد آياتها وحروفها وكلماتها وفواصلها وأسمائها، ثم يدلف إلى الحديث عن مقصود السورة الذي هو أغراضها كما قرر آنفاً، وهذا هو الموضع اللائق بذكر مقصود السورة بين تلك العلوم، بيد أنه يشكل على ذلك تأخيره لذكر فضائل السورة مع أن حقها التقديم كما درج عليه المفسرون في تفاسيرهم ؛ لكن إذا علمت أن المصنف -رحمه الله- تابع في ذلك الزمخشري زال هذا الإشكال، فالزمخشري في كشافه يختم حديثه في نهاية كل سورة بذكر فضائلها، والمصنف-رحمه الله- قد أفاد منه كثيراً وخصوصاً في حديثه عن المقاصد، وسنشير إليه لاحقاً إن شاء الله.

ولم يدع الفيروزآبادي -رحمه الله- سورة من سور القرآن إلا ذكر مقاصدها، وذكره هذا تكتنفه بعض الأمور:

---

(١) مقدمة البصائر (٣٤/١-٣٥).

(٢) المرجع السابق (٥٥/١).

(٣) كذا في المطبوع، وقد ذكر المحقق في الحاشية أنها في نسخة أخرى (تسعة) بدل سبعة. قلت: ما أثبته الباحث في الأصل أنها سبعة وهم، بل هي تسعة كما هو الحال في تعدادها.

(٤) البصائر (٥٥/١-٥٦).

أولاً: من حيث الاستيعاب للمقاصد.

من المعلوم أن تتبع أغراض السور ليس بالأمر الهين؛ إذ هو يعتمد على إحاطة المفسر بجميع موضوعات السورة وفهمه لها، والخلل أو التقصير في تتبع هذه المقاصد ينتج عنه خلل في عدة أشياء:

أولها: الخلل في تحديد مقصود السورة، فموضوعات السورة دهليز إلى مقصدها، فمعرفة الموضوعات أولاً، ثم ربطها ببعضها ثانياً -وهو ما يسمى بالتناسق الموضوعي-[١] يؤدي إلى معرفة مقصدها ثالثاً.

يقول البقاعي: «فإن كل سورة لها مقصد واحداً يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها»[٢].

ثانيها: الخلل في بيان المعنى الإجمالي للسورة، وهذا أمر بدهي، فالمفسر حينما يتناول تفسير السورة إجمالاً، لا بد أن يكون منطلقه لهذا البيان من موضوعاتها، وإلا جاء تفسيره خداجاً لا يعول عليه[٣].

ثالثها: الخلل في التفسير الموضوعي، إذ عمدة التفسير الموضوعي للسورة القرآنية هو موضوعاتها، ومنه ينطلق الباحث وإليه يؤوب، فإذا حصل الخلل في استقراء الموضوعات لم يقم التفسير الموضوعي للسورة على ساق، ولم يؤد أكله وثمرته[٤].

والفيروزآبادي -رحمه الله- لم يستوعب في تعداده لمقاصد السورة جميع موضوعاتها على حد سواء في الأعم الأغلب، سواء أكانت السورة طويلة أم قصيرة، وهذا راجع إلى نظر الشيخ في موضوعات السورة في كونه موضوعاً رئيسياً في السورة أو هو على جهة الاستطراد فينطوي تحت غيره من الموضوعات وهكذا.

وهذا أمر له بالغ التأثير على ما ذكرت آنفاً من بيان المعنى الإجمالي للسورة، والتفسير الموضوعي، ومقصد السورة[٥].

---

(١) انظر: التناسق الموضوعي في السورة القرآنية (ص: ٢٨).

(٢) مصاعد النظر (١٤٩/١) بتصرف.

(٣) انظر: المصدر السابق (١٥٥/١).

(٤) انظر: مباحث في التفسير الموضوعي مصطفى مسلم (ص: ٤٠).

(٥) قارن على سبيل التمثيل بين ما ذكره الفيروزآبادي في موضوعات سورة آل عمران (١٥٩/١). وما ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٤٤/٣). وما جاء في التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٤٢٦/١ وما بعدها).

وربما ذكر موضوعاً لم تتطرق له السورة، كقوله مثلاً في سورة الأنعام «وولادة الخليل عليه السلام»[١]. والمذكور في سورة الأنعام هي قصة إبراهيم عليه السلام مع أبيه وقومه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ ...﴾ الآيات [الأنعام: ٧٤-٨٣] ولم تتعرض لقصة ولادته عليه السلام.

وأحياناً يفصل في جزئيات الموضوع، وخصوصاً إذا كان الموضوع متعلقاً بالقصص القرآني، كما فعل في سورة يوسف عليه السلام، فقد ذكر لها اثنين وأربعين مقصداً، مع أنه قال في بداية السورة: «مقصود السورة إجمالاً»[٢].

ثانياً: من حيث العرض والترتيب:

يسوق الفيروزآبادي مقاصد السورة حسب ترتيب الآيات في المصحف، وهذا هو المعهود في سرد موضوعات السورة، ولم يخالف الفيروزآبادي ذلك إلا في مواضع معينة، قدم فيها بعض موضوعات السورة على بعض، ففي سورة الكهف مثلاً، ذكر من أغراض السورة قوله: «وقراءة الكتب، وعرض الخلق على الحق»[٣]. وترتيب الآيات في السورة على خلاف ما ذكر، وذلك في قول الله تبارك وتعالى ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ...﴾ [الكهف: ٤٨-٤٩].

وسرد الفيروزآبادي -رحمه الله- للمقاصد كان مجرداً من الآيات الدالة على ذلك إلا أنه في بعض الأحيان يحدد موضع الغرض من الآيات كما صنع في سورة آل عمران، فقد ذكر أن مناظرة وفد نجران إلى نحو ثمانين آية من أولها، ثم ذكر أن أربعين آية في ذكر المرتدين، ثم قصة حرب أحد في خمس وخمسين آية، ثم ذكر المنافقين في خمس وعشرين آية[٤]. وهذا أمر لم يسلكه الفيروزآبادي إلا في هذه السورة.

بيد أن ثمة قضية ينبغي التنبه لها وهي أن الشيخ غالباً ما يتم السورة بذكر الشاهد من الآيات القرآنية على الموضوع الأخير منها، كقوله مثلاً في سورة الأعراف: «والإخبار عن خضوع الملائكة في الملكوت،

(١) البصائر (١٨٧/١) وانظر كذلك (٤٠٤/١) قوله في سورة الزمر «وعجائب الصنع في الرؤيا والنوم وماله من غريب الشأن» وهو ويشير إلى قوله تعالى {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَم تَمُت فِي مَنَامِهَا...} (الزمر)، فلم تذكر الآية الرؤيا ولم تتعرض لها. والله أعلم.

(٢) البصائر (٢٥٥/١). وقارنه بما ذكره ابن عاشور في التحرير والتنوير (١٩٨/١٢) وما جاء في التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم (٥٠٧/٤وما بعدها).

(٣) البصائر (٢٩٨/١).

(٤) المصدر السابق (١٥٩/١-١٦٠).

وانقيادهم بحضرة الجلال في قوله ﴿وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾»[1] [الأعراف:٢٠٦].

وهذا الصنيع وقع من الشيخ في مائة وسورتين من القرآن، بينما خلت باقي السور من ذلك[2].

ثالثاً: من حيث البناء والصياغة:

المتتبع لمقاصد السور التي أوردها الفيروزآبادي -رحمه الله- في كتابه البصائر يجد أن سوقها وبناءها قام على قواعد منها:

١- مراعاة سبب نزول الآية، ففي مقاصد سورة النور ذكر الشيخ -رحمه الله- أن من مقاصدها: «الشفاعة لمسطح إلى الصديق في ابتداء الفضل والإحسان»[3]، وهو مقصد مبني على ما أخرجه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها (حين قال أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه - وكان ينفق على مسطح لقرابته منه -: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد الذي قال لعائشة، فأنزل الله ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾...[النور:٢٢]، قال أبو بكر: بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها عنه أبداً)[4].

٢- بناء المقصد على حديث له تعلق بالآية، ففي سورة الواقعة يسوق الفيروزآبادي مقاصدها ليختمها بقوله: «والأمر بتسبيح الركوع في قوله ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾»[5] [الواقعة:٧٤].

فالأمر بالتسبيح في الآية مطلق وغير مقيد، والذي حمل الفيروزآبادي على جعله التسبيح في الركوع حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: (لما نزلت ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجعلوها في ركوعكم»، فلما نزلت ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾ [الأعلى: ١] قال: اجعلوها في سجودكم)[6].

---

(١) البصائر (٢٠٤/١).

(٢) وهي اثنتا عشرة سورة (الفاتحة، المائدة، هود، فاطر، الفتح، فاطر، الانفطار، البروج، العاديات، الكوثر، الكافرون، المسد، الإخلاص).

(٣) البصائر (٣٣٥/١). وانظر كذلك (١٧٩/١) في سبب نزول قول تعالى {وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ...} [المائدة:٨٣].

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب اليمين فيما لا يملك وفي المعصية والغضب، حديث رقم (٦٦٨٧)، ومسلم، كتاب التوبة، باب في حديث الإفك وقبول توبة القاذف، حديث رقم (٦٩٥١).

(٥) البصائر (٤٧٨/١). وانظر كذلك (٤٣٧/١) في حديث النفخ في الصور في آية سورة (ق:٤١).

(٦) أخرجه أحمد في مسنده، حديث رقم (١٧٤١٤)، وأبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب: ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، حديث رقم (٨٦٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: التسبيح في الركوع والسجود، حديث رقم (٨٨٧). وحسن إسناده النووي كما في المجموع (٤١٣/٣).

٣- وأحياناً يجمع الفيروزآبادي في ذكر المقصد بين القراءات الواردة في الآية الكريمة محل البحث، ففي سورة التكوير في أثناء تعداد المقاصد قال -رحمه الله-: «وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا متهم ولا بخيل بقول الحق»[(١)]، وهو بذلك يشير إلى القراءات الواردة في قوله تعالى ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير: ٢٤]، ففي مفردة (ضنين) قراءتان[(٢)]:الأولى: بالضاد، من الضن، وهو البخل، أي: ليس محمد صلى الله عليه وسلم ببخيل عليهم بالوحي، بل هو يعلم ما علمه الله من القرآن.

الثانية: بالظاء، من الظنة، وهي التهمة، أي: ليس محمد صلى الله عليه وسلم بمتهم فيما يخبرهم به عن الله، بل هو ثقة صادق في ذلك[(٣)].

٤- كثيراً ما يبني الفيروزآبادي مقاصده على الجمع بين الأقوال التفسيرية الواردة في الآية القرآنية محل الدراسة فقد ذكر -رحمه الله- من ضمن مقاصد سورة الإسراء قوله: «وبيان أن كل أحد يدعى في القيامة بكتابه، ودينه، وإمامه»[(٤)]. وهو ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْۖ﴾ [الإسراء: ٧١]. والناظر في أقوال المفسرين التي قيلت في المراد بالإمام في الآية لا تخرج عن هذه الثلاثة، وإن اختلفت عبارات بعضهم في التعبير عنها[(٥)]. وما ذكره الفيروزآبادي في الجمع بين الأقوال هو الصحيح؛ لأن لفظة (الإمام) تعم هذا كله؛ فالإمام هو ما يؤتم به ويهتدى به[(٦)].

٥-وإذا كان بناء الفيروزآبادي -رحمه الله- للمقاصد مبنياً على الجمع بين الأقوال التفسيرية في الأغلب إلا أنه ربما بنى مقاصده على بعض الأقوال التفسيرية التي يختارها، وهذا الأمر يظهر ملكة الشيخ التفسيرية وشخصيته في الترجيح والاختيار، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره -رحمه الله- في أثناء تعداده لمقاصد سورة القصص حيث يقول: «وعد الرسول صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى مكة»[(٧)]، وهو يشير إلى قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍۚ﴾ [القصص:٨٥]. ومعلوم أن المفسرين قد اختلفوا

---

(١) البصائر (٥٠٣/١).

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي ورويس عن يعقوب بالظاء (ظنين)، وقرأ الباقون بالضاد (ضنين). انظر السبعة لابن مجاهد (ص:٦٧٣)، التيسير للداني (ص:٢٢٠)، النشر لابن الجزري (٣٩٩/٢).

(٣) انظر في توجيه القراءتين: الحجة لابن خالويه (ص:٣٦٤)، معاني القرآن للأزهري (١٢٤/٣).

(٤) البصائر (٢٨٩/١)، وانظر كذلك (٢٠٥/١) المقصد المناسب لقوله تعالى في سورة الأعراف {وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} [الأعراف:٢٠٤].

(٥) انظر هذه الأقوال في: جامع البيان للطبري (٦/١٥)، تفسير عبدالرزاق (٣٨٢/٢)، زاد المسير لابن الجوزي (٦٤/٥).

(٦) انظر: جامع البيان (٨/١٥)، المحرر الوجيز (٢٥٢/٦).

(٧) البصائر (٣٥٣/١)، وانظر كذلك ما ذكره من مقاصد سورة فصلت (٤١٣/١) والمناسب لقوله تعالى {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا} [فصلت:٣٣].

في المراد بالمعاد على خمسة أقوال[١]: الأول: الموت، الثاني: مكة، الثالث: القيامة، الرابع: الجنة، الخامس: بيت المقدس.

وما ذكره الفيروزآبادي هنا هو أحد هذه الأقوال الخمسة، وغالب اختياراته هو فيها متابع لصاحب الكشاف فقد تأثر به ونقل عنه، ولم يصرح باسمه إلا في مواضع يسيرة[٢].

واختيارات الفيروزآبادي -رحمه الله- التي بنى عليها مقاصده لم تقتصر على الأقوال المشهورة بين المفسرين، بل تعدتها إلى الأقوال الغريبة والشاذة، واعتمد في ذلك على كتابه تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ومن الأمثلة على ذلك، ما ذكره ضمن مقاصد تفسير سورة الرعد، حيث يقول: «وقصته نزول القرآن من السماء»[٣]، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ ...الآية [الرعد:١٧] وقال في تنوير المقباس، ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يقول: أنزل جبريل بالقرآن، وبيّن فيه الحق والباطل، ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ فاحتملت القلوب المنورة الحق بقدر سعتها ونورها...)[٤].

وهذا القول غريب، يقول ابن عطية -رحمه الله- عنه: «وهذا قول لا يصح -والله أعلم- عن ابن عباس؛ لأنه ينحو إلى قول أصحاب الرموز، وقد تمسك له الغزالي وأهل ذلك الطريق، ولا وجه لإخراج اللفظ عن مفهوم لكلام العرب بغير علة تدعو إلى ذلك»[٥].

٦- وأحياناً يبني الفيروزآبادي - رحمه الله- المقاصد على استنباط يستنبطه من الآية، كما صنع في أثناء تعداده لمقاصد سورة النور، حيث يقول «وخلافة الصديق»[٦]، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ ...الآية [النور:٥٥]. وهذا الاستخلاف وعد من الله عز وجل لهذه الأمة ممن اتصف بالإيمان والعمل الصالح؛ ولذلك يقول الشوكاني -رحمه الله- راداً على من قال إن هذه الآية خاصة في الصحابة: «ولا وجه لذلك؛ فإن الإيمان وعمل الصالحات لا يختص بهم، بل يمكن وقوع ذلك من كل واحد من هذه الأمة، ومن عمل بكتاب الله وسنة رسوله فقد أطاع الله ورسوله»[٧].

---

(١) انظر: جامع البيان (٣٤٦/١٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٠٢٦/٩)، زاد المسير (٢٥٠/٦).

(٢) انظر: البصائر (٢٠٤/١)، (١٧/٢)، (١٧/٣)، (٢٠٩/٤)، (٣١٣/٥).

(٣) البصائر (٢٦٣/١)، وانظر كذلك ما ذكره من مقاصدي سورة الرحمن (٤٤٨/١) والمناسب لقوله تعالى {مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضرٍ وَعَبقَرِيٍّ حِسَانٍ} [الرحمن: ٧٦].

(٤) تنوير المقباس (ص: ٢٠٧).

(٥) المحرر الوجيز (٦٠٢/٥).

(٦) البصائر (٣٣٥/٥).

(٧) فتح القدير (٦٤/٤).

٧- ولمرويات بني إسرائيل أثر كبير في بناء المقاصد عند الفيروزآبادي -رحمه الله- فالمتتبع لما ذكر من مقاصد تتعلق بالقصص القرآني أن وراءها روايات إسرائيلية، حتى ظهر أثر ذلك في صياغته للمقاصد من ذكر المبهمات كما سنبينه لاحقاً إن شاء الله.

ومن أمثلة مقاصد السور التي بناها الفيروزآبادي -رحمه الله- على مرويات أهل الكتاب ما جاء في مقاصد سورة الحشر، حيث يقول: «... وذكر برصيصاء العابد»[١] يعني هو المراد بقوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ﴾ ... الآية [الحشر: ١٦].

وقصة برصيصاء العابد كان قد أخرجها وذكرها جمع من المفسرين[٢] وعمدتهم في ذلك مرويات بني إسرائيل، فإن كان ما ذكروه هو من باب التفسير بالمثال فلا شية في ذلك، أما إن كان من باب التعيين والقصر، فهو مجانب للصواب، إذ الصحيح هو أن اسمي الشيطان والإنسان الواردان في الآية هما للجنس[٣].

وعليه، فبناء المقاصد على مثل هذا محل نظر؛ لأن المقصد كاشف عن معنى الآية العام لا عن المراد بها على وجه الخصوص.

أما من جهة الصياغة:

فقد كانت صياغته -رحمه الله- للمقاصد صياغة خبرية لا إنشائية، وكانت مختومة في غالبها بالسجع، وخصوصا في مقاصد قصار السور.

وهذا الحرص على كون المقاصد مسجوعة أوقع الشيخ -رحمه الله- في تكلف بعض المقاصد من جهة، كقوله مثلاً في مقاصد سورة الكافرون «يأسُ الكافرين من موافقة النبي صلى الله عليه وسلم بالإسلام والأعمال، في الماضي والمستقبل والحال، وبيان أن كل أحد مأخوذ بما له عليه إقبال، وعليه اشتغال»[٤].

فالملاحظ أن المقصد الأخير متعلق بقوله تعالى ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦]، والمراد من الآية في السورة والذي يدل عليه سياق الآيات هو المتاركة والمفارقة، ومن أجل هذا المعنى اُختلف في نسخها من عدمه[٥]. وما ذكره الفيروزآبادي وإن كان صحيح المعنى فإن سياق الآيات لا يعضده.

---

(١) البصائر (٤٥٨/١)، وانظر كذلك (١٧٩/١) عند قصة بني إسرائيل مع العمالقة.
(٢) تفسير عبد الرزاق (٢٨٥/٢)، جامع البيان (٥٤١/٢٢)، تفسير مقاتل (٢٨١/٤).
(٣) انظر: المحرر الوجيز (٤٧٨/٩)، تفسير ابن كثير (٧٥/٨).
(٤) البصائر (٥٤٨/١)، انظر كذلك (٥٣٧/١).
(٥) جامع البيان (٧٠٤/٢٤)، المحرر الوجيز (٣٩٨/١٠)، تفسير ابن كثير (٥٠٨/٨).

ومن جهة أخرى، فقد ظهر أثر السجع في التكلف في صياغة المقاصد نفسها، ففي مقاصد سورة الرحمن مما يناسب قوله تعالى ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفۡرَفٍ خُضۡرٖ وَعَبۡقَرِيّٖ حِسَانٖ﴾ [الرحمن:٧٦] يقول: «... ونشاط المؤمنين بأزواجهم من الحور الحسان، وتقلبهم ورودهم في رياض الرضوان، على بساط الشاذروان»[١].

فمفردة (الشاذروان) جيء بها للسجع، إذ لم أجد أحداً من المفسرين - فيما أعلم- نصَّ على هذا في تفسير الآية، ولعل المصنف أراد بها سور الجنة[٢].

ومما يلاحظ في صياغته للمقاصد، عنايته بذكر المبهمات وتعيينها، وهذا كثير وخصوصاً فيما يتعلق بالقصص القرآني، ومن أمثلة ذلك، ما ذكره -رحمه الله- ضمن مقاصد سورة يس، حيث يقول: «... وضرب المثل في أهل أنطاكية، وذكر حبيب النجار»[٣].

وهو يشير بذلك إلى قوله تعالى ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾ [يس:١٣]، وقوله تعالى ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ﴾ [يس:٢٠].

وبعد، فلا بد في بناء مقاصد السور، أن تكون تلك المقاصد كاشفة عن موضوعاتها، ومبينةً لأغراضها ببناء محكم، يراعى فيه المضمون مع عدم ذكر التفاصيل، بنظرة شاملة لجميع الآي، بعبارة محكمة رصينة جامعة، بعيدة عن الإيهام والتخصيص.

(١) البصائر (٤٤٨/١)، وانظر كذلك (٥٤٠/١).

(٢) وما ذكر هنا هو بناءً على صحة اللفظة في المخطوط وحسن قراءة المحقق لها، والله أعلم.

(٣) البصائر (٣٩٠/١)، وانظر كذلك (٢٥٥/١) في سورة يوسف عليه السلام.

الخاتمة

وبعد أن أنهى الباحث رحلته في سبر مقاصد السور القرآنية عند الفيروزآبادي خرج بعدة نتائج، من أهمها:

١- دقة منهج الشيخ -رحمه الله- وسبره لموضوعات السور القرآنية، وحرصه على إبراز تلك الموضوعات، وكان صنيعه هذا نقلة نوعية ومنعطفاً بارزاً في التأليف في هذه المسألة، ولا أدل على ذلك من صنيع البقاعي -رحمه الله- الذي أفاد من سابقه.

٢- ظهر للباحث أن مصطلح مقاصد السور القرآنية عند الفيروزآبادي هو موضوعاتها، أو ما يعبر عنه غيره بـ (أغراضها).

٣- وإذا كان الأمر كذلك، فليس في الصحيح أن يصنف ما ذكره الفيروزآبادي تحت ما اصطلح عليه المتأخرون في مقاصد السور والذي يعنون به محورها وعمودها الذي تقوم عليه وترمي إليه.

٤- تناول الفيروزآبادي جميع سور القرآن الكريم بذكر مقاصدها، بَيْدَ أنه لم يستوعب جُل موضوعاتها، وتنوعت مشاربه في بناء ما ذكره من الموضوعات، وتفاوتت عباراته في صياغتها، مما جعلها عرضة للنقد من جهة المضمون والعبارة.

وبناء عليه فإن الباحث يوصي بما يلي:

١- العناية بكتاب الفيروزآبادي -بصائر ذوي التمييز- دراسة وشرحاً وتحقيقاً، فالكتاب المطبوع يحمل في جنباته كثيراً من التصحيفات والأخطاء الطباعية، إضافة إلى ضعف في جودة إخراج النص.

٢- عقد دراسة مقارنة بين ما سطره الفيروزآبادي من مقاصد للسور مع غيره ممن أفاد منه كالبقاعي، أو جاء بعده كابن عاشور، وهذه المقارنة حقيقة بالدراسة.

٣- إبراز أثر ضبط مقاصد السور في بيان الوحدة الموضوعية لها، وسبك المعنى الإجمالي للسورة، وتفسيرها تفسيراً موضوعياً.

٤- تبني المؤسسات العلمية والمعاهد الشرعية لتدريس مقرر يعنى بدراسة مقاصد السور وعلاقتها بالتفسير والاستنباط والتدبر.

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

المصادر والمراجع:

١. الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت:٩١١هـ)، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢. إنباء الغمر بأبناء العمر، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت:٨٥٢هـ)، تحقيق: حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٨٩هـ.

٣. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت:١٢٥٠هـ)، دار المعرفة، بيروت.

٤. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩٣هـ، مصر.

٥. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لجلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٩١١هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، لبنان.

٦. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت:٨١٧هـ)، تحقيق: محمد المصري، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، دار سعد الدين.

٧. تحرير العلاقة بين مقاصد القرآن وتفسيره، للدكتورة سهاد قنبر، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد ١٩٧، الجزء الأول، ذو القعدة ١٤٤٢هـ.

٨. التحرير والتنوير، للشيخ محمد الطاهر ابن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، دار سحنون، تونس.

٩. تفسير القرآن العظيم مسنداً إلى رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، لأبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن أبي حاتم (ت: ٣٢٧هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار مصطفى الباز.

١٠. تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، دار طيبة.

١١. التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، جامعة الشارقة.

١٢. تفسير عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت: ٢١١هـ)، تحقيق: محمود محمد عبده، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، دار الكتب العلمية.

١٣. التفسير والمفسرون، لمحمد بن حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، الطبعة الأولى، شركة دار الأرقم بن

أبي الأرقم، بيروت.

١٤. التناسق الموضوعي في السور القرآنية، د/ محمد بن عمر بازمول، مطبوعات الجمعية العلمية السعودية للقرآن الكريم وعلومه (تبيان)، الطبعة الأولى، ١٤٣٨هـ.

١٥. تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، دار الكتب العلمية.

١٦. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، تحقيق: رياض زكي قاسم، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار المعرفة، بيروت.

١٧. التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: ٤٤٤هـ)، الطبعة الثالثة، ١٤٠٦هـ، دار الكتاب العربي.

١٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:٣١٠هـ)، تحقيق: عبدالله التركي، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، دار هجر.

١٩. الحجة في القراءات السبع، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت: ٣٧٠هـ)، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ، مركز البحوث في كلية الآداب بجامعة الملك سعود.

٢٠. دلائل النظام، لعبدالحميد الفراهي الهندي (ت: ١٣٤٩هـ)، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ، المطبعة الحميدية.

٢١. زاد المسير في علم التفسير، لأبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي الجوزي (ت:٥٩٧هـ)، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ، المكتب الإسلامي.

٢٢. السبعة في القراءات، لأبي بكر أحمد بن مجاهد (ت: ٣هـ)، تحقيق: شوقي ضيف، الطبعة الرابعة، دار المعارف.

٢٣. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبدالحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي (ت:١٠٨٩هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، دار ابن كثير.

٢٤. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي (ت: ٩٠٢هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار الجيل، بيروت.

٢٥. طبقات الشافعية، لأبي بكر أحمد بن محمد الشهبي الدمشقي، المعروف بابن قاضي شهبة (ت: ٨٥١هـ)، تحقيق: الحافظ خان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، عالم الكتب، بيروت.

٢٦. طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي الداودي (ت: ٩٤٥هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ، مكتبة وهبة.

٢٧. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لتقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسي المكي (ت:٨٣٢هـ)، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية.

٢٨. علم مقاصد السور وأثره في تدبر القرآن الكريم، للدكتور عبدالمحسن بن زبن المطيري، جامعة الكويت، بحث منشور على الشبكة العنكبوتية.

٢٩. علم مقاصد الشريعة، للدكتور محمد بن عبدالله الربيعة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

٣٠. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: ١٢٥٠هـ)، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، دار الوفاء.

٣١. القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦هـ، مؤسسة الرسالة.

٣٢. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبدالله المشهور باسم حاجي خليفة (ت: ١٠٦٧هـ)، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

٣٣. لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت: ٧١١هـ)، الطبعة السادسة، ٢٠٠٨م، دار صادر، بيروت.

٣٤. مباحث في التفسير الموضوعي، د/ مصطفى مسلم، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ، دار القلم، دمشق.

٣٥. المجموع شرح المهذب، لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت: ٦٧٦هـ)، دار الفكر، بيروت.

٣٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن عطية الأندلسي (ت:٥٤١هـ)، تحقيق: مجموعة من الباحثين، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ، وزارة الأوقاف القطرية.

٣٧. مسند الإمام أحمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ)، تحقيق مجموعة من الباحثين بإشراف الدكتور عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، مؤسسة الرسالة.

٣٨. المسند المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، الطبعة الثانية، ١٤٣٦هـ، دار التأصيل.

٣٩. مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت:٨٨٥هـ)، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، مكتبة المعارف، الرياض.

٤٠. مقاصد السور القرآنية، عرض ودراسة، لشافي سلطان العجمي، حولية مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٤١. مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبدالسلام هارون، دار عالم الكتب، ١٤٢٠هـ.

٤٢. ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الغرناطي (ت: ٧٠٨هـ)، تحقيق: عبدالغني الفاسي، دار الكتب العلمية.

٤٣. النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد بن يوسف الجزري (ت:٨٣٣هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى.